سنويا للكيان الصهيوني · كما ان العجب يأخذنا عندما نرى هذا الماركسي وهو يلخص النشاطات الاقتصادية للشعب الفلسطيني خلال النصف الاول من هذا القرن (كتلقيط الزيتون وعصر الزيت وقطف البرتقال ودرس القمح) في ٢٥ ثانية من اصل ٤٦ دقيقة للفيلم ·

هل يمكن بعد هذا كله ان نستنتج بان ماريو اوفنبرغ صهيوني ؟

من الصعب الاجابة على هذا السؤال اذا كان فعلا ينوي القيام باخراج سلسلة من الافلام للاحاطة بالقضية الفلسطينية · ولكننا نستطيع ان نقول بان فيلمه هذا لا يخرج سياسيا عن اطار « الصهيونية الحديثة » او الصهيونية « الليبرالية » التي بدأت تطالب تحت ضغط تطور النضالات المختلفة للشعب الفلسطيني وللمنجزات التي حققتها ثورته في داخل الوطن المحتل وفي خارجه ، بتحسين اوضاع العرب تحت « سيادة اسرائيل الكبرى » · ومثل هذه الافلام تلقى رواجا في الغرب ولكن من المبالغة التصور بانها ستعرض مرارا سواء في الوطن العربي او في اسرائيل · ان الغرب المتعطش لحل الصراع العربي ــ الصهيوني بغية تأمين النفط لصناعته والامن لدوله ، سيرى في هذا الفيلم اولا وقبل كل شيء حسن نية الاسرائيليين ازاء الفلسطينيين « دون ان يقدم الفيلم اي تنازل جوهري عن الاهداف الصهيونية » (استمرار الاحتلال نفي الوجود الوطني للشعب الفلسطيني·· الخ) ·

ــ فقط نشير الى ان ماريو اوفنبرغ درس في كتابه « الشيوعية في فلسطين ، الامة والطبقة مع الثورة المعادية للاستعمار» افكار الصهيوني الاشتراكي ، بوروشوف ، منظر حركة البوعالي تسيون ، وربما تأثر بها :

« كان بير بوروشوف يسمي مواطني فلسطين العرب بالسكان المولودين في فلسطين وقد اكد على انهم لا يمتلكون اية ثقافة قومية خاصة بهم وليس عندهم اية صفات قومية مميزة · ومن هنا فانهم سيقبلون بأية ثقافة مستوردة تكون على مستوى اعلى من ثقافتهم وسيكونون عاجزين عن ابداء اية مقاومة منظمة ضد التأثيرات الخارجية ولن يستطيعوا الدخول في منافسة قومية (على العمل) ·· »

وقد استنتج بوروشوف بان السكان العرب في فلسطين « سيندمجون اقتصاديا وثقافيا مع من يضمن النظام في البلاد ويعمل على تطوير القوى الانتاجية » ·

(راجع شؤون فلسطينية عدد ٧٠ ، ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧) ·

لقد افرحتني رؤية الخضرة الزمردية لجنان فلسطين التي صورها الفيلم بجمالية عالية · وقد ذكرني سور الصبر امام قرية صفورية ، وهو علامة مميزة لقرى فلسطين بلوحات الفنانة الفلسطينية جمانة الحسيني ، وكنت اسعد ما اكون عندما رأيت الاجتماع الحاشد بمناسبة يوم الارض (٣٠ـ٣ـ١٩٧٧) والجماهير تفد اليه هاتفة : « بالروح بالدم نفديك يا جليل » ·

وتذكرت مظاهرات شعبنا في الضفة الغربية ، وفي قطاع غزة ، وفي لبنان وغيره وهي تقسم : « بالروح بالدم نفديك يا فلسطين » أن الوحدة الوطنية لشعب فلسطين في داخل الارض المحتلة وخارجها هي اهم منجز حققته الثورة الفلسطينية منذ انطلاقتها · وهذا ما تجاهله كلية فيلم ماريو اوفنبرغ ·

وفي هذا الفيلم وعلى الطريق بين يافا وتل ابيب يهيم عربيان ، تماما كما يهيم هندي أحمر في مدن الكاوبوي الامريكية· وبدا هذان العربيان امام أحد جوامع يافا المتداعية وأمام شجرة نخيل كرمز للذاكرة وللماضي الذي مهما تحسر عليه